

عملية تقلص المرموز إلى محض بعده كموضوع، بينما يحتكر الرامز أو مؤول الرمز كل الذاتية لحسابه. ومع أن الترميز يفترض أصلاً بالموضوع المرموز أن يكون قابلاً للتشكيل، أي مادة مطاوعة يحدد الآخر مصائرها" (9).

وإذا كان ابن هذوقة قد نجح في ترميزه الجازية بالجزائر، والجزائر بالجازية فإن ترميزه للشخصيات الأخرى، وخاصة الرجالية منها كان ترميزاً مفضوحاً ومكشوفاً وظاهراً، فأضرت هذه الرموز بالنص كالرموز التالية الأحمر، الأخضر، ولو كان الترميز على المستوى اللغوي (الخطاب) لكان أفيد. إن امتزاج الجازية بالجزائر (الوطن) جعلها مطمعاً لكل الدراويش الطامحين في الظفر بها، كل بحسب توجهه الفكري ونظرته إلى الحياة إلا أنها حافظت على استقلالها وبناء شخصيتها بعيداً عن تلك المغريات، إنها اختارت أن ترتبط بالصفصاف رمز السمو والعلو والارتقاء، وفي الوقت ذاته رمز التمسك والثبات واليقين. فكانت بذلك امرأة قريبة من زهرة ميرامار نجيب محفوظ التي كانت "مرأة يرى فيها الآخرون أنفسهم أو تعكس لنا صورهم. لكن أهذا كل دور زهرة؟ الفعل للآخرين والانعكاس لها؟ الواقع أن نجيب محفوظ الذي لا تشف كتاباته... عن نزعة سافرة إلى معاداة المرأة لا يحط زهرة بترميزها، إلى مستوى الرمز السالب والمنفعل، فزهرة رمز ولكنه رمز حي، متطور، وحتى فاعل... فإن زهرة التي تملك إلى جانب بعدها الرمزي بعداً واقعياً وعينياً غير قابل للاختزال، والتي تحرص بشراسة على أن تكون هي صاحبة قرارها وصانعة مصيرها، تبدو وكأنها مركز عملية مضادة للترميز ومفككة له" (10)، لقد كانت الجازية محور الحدث الروائي، ومركز استقطاب لفعل المحرك لـ لرمز، وبذلك تمتزج بالجزائر "الأرض والسلطة"، وهي إن كانت تبدي تعاطفاً أو ميلاً نحو درويش من الدراويش، فإنها سرعان ما تحيد عن هذا الميل، ويبقى الأمر مجرد مغازلة تعبير عن الرغبة ولا تسعى إلى تحقيقها، وقد ساعد هذا الوضع ابن هذوقة تقنياً وفنياً إذ أصبحت نصوصه نصوصاً مفتوحة تنتج مجالاً للتأويل والتفكير، في سبيل رسم صور جمالية للمرأة، ولقد استفاد هذا الروائي من تقنيات السرد استفادة كبيرة بطريقة إبداعية تعتمد على التصرف في اللغة وزمن الحكى و"يتجلى انفتاح النص الروائي زمن من خلال البناء عبر اشتغال الكاتب على مادته الحكائية والكتابية (الخطاب) بشكل مختلف عما اعتدنا عليه. فهو يخلخل الصورة المكونة لدينا عن البناء النصي الذي يحمل الدلالة التعينية للمعنى، يتم ذلك من خلال تكسيره لخطبة